

تفسير البحر المحيط

@ 153 % (جشأت فقلت اللذ خشيت ليأتين % .

وإذا أتاك فلات حين مناص .

. %)

رد على أحمد بن يحيى ثعلب إذ زعم أن الجملة الواقعة خبراً للمبتدأ لا تكون قسمية . .
{ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ اللَّهِ وَاللَّهِ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ } انتصب ثواباً
على المصدر المؤكد ، وإن كان الثواب هو المثاب به ، كما كان العطاء هو المعطى .
واستعمل في بعض المواضع بمعنى المصدر الذي هو الإعطاء ، فوضع ثواباً موضع إثابة ، أو
موضع تثويباً ، لأنَّ ما قبله في معنى لأثيبنهم . ونظيره صنع ا□ ووعد ا□ . وجوز أن يكون
حالاً من جنات أي : مثاباً بها ، أو من ضمير المفعول في : { وَلاَدُ خِلَانِ هُمْ } أي
مثابين . وأن يكون بدلاً من جنات على تضمين ، ولأدخلنهم معنى : ولأعطينهم . وأن يكون
مفعولاً بفعل محذوف يدل عليه المعنى أي : يعطيهم ثواباً . وقيل : انتصب على التمييز .
وقال الكسائي : هو منصوب على القطع ، ولا يتوجه لي معنى هذين القولين هنا . .
ومعنى : من عند ا□ ، أي من جهة فضل ا□ ، وهو مختص به ، لا يثيبه غيره ، ولا يقدر عليه .
كما تقول عندي ما تريد ، تريد اختصاصك به وتملكه ، وإن لم يكن بحضرتك . وأعربوا عنده
حسن الثواب مبتدأ ، وخبراً في موضع خبر المبتدأ الأول . والأحسن أن يرتفع حسن على
الفاعلية ، إذ قد اعتمد الطرف بوقوعه خبراً فالتقدير : وا□ مستقر ، أو استقرَّ عنده حسن
الثواب . قال الزمخشري : وهذا تعليم من ا□ كيف يدعى ، وكيف يبتهل إليه ويتضرَّع ،
وتكرير ربنا من باب الابتغال ، وإعلام بما يوجب حسن الإجابة وحسن الإثابة من احتمال المشاق
في دين ا□ والصبر على صعوبة تكاليفه ، وقطع لأطماع الكسالى المتمنين عليه ، وتسجيل على
من لا يرى الثواب موصولاً إليه بالعمل بالجهل والغباوة انتهى . وآخر كلامه إشارة إلى
مذهبه المعتزلة وطعن على أهل السنة والجماعة . .

{ لاَ يَغْرُرْ رَبُّكَ بِتَقَالِبِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْإِيمَانِ } قيل : نزلت في

اليهود كانوا يضربون في الأرض فيصيبون الأموال قاله : ابن عباس . وقال أيضاً : هم أهل
مكة . وروي أنَّ ناساً من المؤمنين كانوا يرون ما كانوا فيه من الخصب والرخاء ولين
العيش ، فيقولون : إنَّ أعداء ا□ فيما نرى من الخير وقد هلكننا من الجوع والجهد . وقال
مقاتل : في مشركي العرب والذين كفروا لفظ عام ، والكاف للخطاب . فقيل : لكل سامع .
وقيل : هو خطاب للنبي صلى ا□ عليه وسلم) ، والمراد أمته . قاله : ابن عطية . وقال :

نزلت لا يغرنك في هذه الآية منزلة لا تظن أن حال الكفار حسنة فتهتم لذلك ، وذلك أن المغتر فارج بالشيء الذي يغتر به . فالكفار مغترون بتقليبهم ، والمؤمنون مهتمون به . لكنه ربما يقع في نفس مؤمن أنَّ هذا الإملاء للكفار إنما هو خير لهم ، فيجيب هذا جنوحاً إلى حالهم ، ونوعاً من الاغترار ، ولذلك حسنت لا يغرنك . ونظيره قول عمر لحفصة : (لا يغرنك أن كانت جارتك أوضأ منك وأحب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم) (المعنى : لا تغتري بما يتم لتلك من الإدلال فتتقي فيه فيطلقك رسول الله صلى الله عليه وسلم) انتهى . وقال الزمخشري : لا يغرنك الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم) ، أو لكل أحد . أي : لا تنظر إلى ما هم عليه من سعة الرزق ، والمضطرب ودرك العاجل وإصابة حظوظ الدنيا ، ولا تغتر بظاهر ما ترى من تبسطهم في الأرض وتصرفهم في البلاد . (فإن قلت) : كيف جاز أن يغتر رسول الله صلى الله عليه وسلم) بذلك حتى ينهى عنه وعن الاغترار به ؟ (قلت) : فيه وجهان : أحدهما أن مدرة القوم ومقدمهم يخاطب بشيء فيقوم خطابه مقام خطابهم جميعاً ، فكأنه قيل : لا يغرنكم . والثاني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم) كان غير مغرور بحالهم ، فأكد عليه ما كان وثبت على التزامه كقوله : { وَلَا تَكُنْ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ * الْكَاْفِرِينَ } { وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ } { فَلَا تُطِيعِ الْمُكَذِّبِينَ } وهذا في النهي